

وأصبحت امبراطورة

لا تنتقد حبيب
فلو كانوا في مدرسة الحياة
يعلمون فنّاً أفضل
لكنت تعلمته

شعراي

وأصبحت إمبراطورة

قابلت الملك لأول مرة في سفارتنا بباريس عندما اختار السفير بعض الطلبة المتفوقين ليقدمهم إليه ، وأرسل لنا دعوات تفيد أننا سننال شرف مقابلة العاهل .

ومن فرط الانفعال ارتديت ما رأيته محتشماً ولاثقاً في الوقت نفسه : جولة ضيقة من التويد الرمادي ، وبنوزة بכול صغيرة . وأكمام طويلة فضفاضة ، ووردة كاميليا علقها على صدرى . وعقصت شعرى للوراء مع قصة مجمدة تتدلى على جبينى .

حانت ساعة التعارف . فمررن وحداً واحداً في الصالون الكبير حيث كان يجلس الملك . ولما دنوت منه تخفيت الخنأة خفيفة قبل أن يسألنى .

-- ماذا تدرسين ؟

— أدرس الهندسة المعمارية يامولاي .

— ألا ترين أنها دراسة نادرة وشاقة لامرأة ؟

أجبت بارتباك : بلى ، ولكننى لم أجد صعوبة كبيرة لأننى درست الفرنسية في طهران .

جاء صوته هادئاً رزيناً . وفي عينيه هالة من الحزن الصامت حاول أن يداريها . ولكننى أحسست بها وكنت فخورة وسعيدة لأن السفير قدمنى إليه بصورة مشرفة .

بعدها تراحم الطلبة يتناقشون معه ، أما أنا فانزويت بعيداً أقرب مايجزى .

كان من الطبيعي أن ينسى هو هذه المقابلة في غمرة الأحداث : كما أخبرني فيما بعد .

وفي صيف سنة ١٩٥٩ تدخل الحظ ليغير مسار حياتي : إذ كان عليّ أن أعود لقضاء الإجازة مع أهلي في إيران لإعداد دراسة هندسية شاملة كلفت القيام بها كسائر زملائي ، واخترت أحد مساجد أصفهان المعروفة ، وأعددت المشروع كاملاً متضمناً أدق التفاصيل الصغيرة . حتى قطع الموزايكو الصغيرة رسمتها بعناية فائقة .

ولما كان عمي أسفنديار ديبا مساعداً للملك فقد قدمني إلى زهدى زوج الأميرة شهناز الابنة (الوحيدة) للملك من زوجته الأولى الأميرة فوزية أخت الملك فاروق .

وكان زهدى يرعى شؤون الطلبة الإيرانيين الذين يدرسون في الخارج ، فقدمني بدوره للأميرة شهناز التي دعنتني إلى منزلها ، ثم جاء الملك الذي كانوا في ذلك الوقت يعرضون عليه بنات العائلات الكبيرة ، ليختار إحداهن زوجة له . لم أكن غبية : فقد فهمت الهدف الحقيقي من وراء الدعوة ، وحينما رأيته مقبلاً نحوي تيقنت أنني دعيت هناك ليراني ، ولحسن الحظ بقيت طبيعية في سلوكي تجاهه . كما قال لي هو فيما بعد . وبدأ يوجه لي بعض الأسئلة وكان لطيفاً جداً ، أما أنا فكنت في غمرة السعادة لرؤيته والحديث معه كأى إنسان عادى ، ففي سن صغيرة تخيل أن الملك والملكة ليسا كسائر البشر ، فلا بد أنها يعيشان ويتكلمان ويأكلان بطريقة مختلفة . ولكن الملك كان شيئاً آخر فهأنذى أطرق معه شتى الموضوعات وهو يتحدث ببساطة متناهية عن لقاءاته بالطلبة الإيرانيين ، ووصل الأمر إلى حد مخالفته في الرأي ، فلم أكن يوماً تلك المناقفة التي توافق على كل كلمة يقولها الملك : لأن هذا أبعد ما يكون عن طبيعتي ، بعد

ذلك في كل مرة أعلم أنني سألقاه تزداد خفقات قلبي لمجرد التفكير في رؤيته ،
وينقلب كياني رأساً على عقب من فرط الارتباك ، حتى إذا ما رأيته عدت إلى
طبيعتي الهادئة البسيطة التي لم أحاول يوماً تغييرها كي أبدو أكثر ذكاءً أو أكثر
أناقة أو أكثر إثارة .

لقد بقيت كما أنا ، بل احتفظت ببساطتي وطبيتي التي ساعدتني دائماً في
حياتي .

بعد ذلك تكررت لقاءاتنا في منزل الأميرة شهنار ، ثم دعاني الملك للغداء
معه في القصر في أحد أيام شهر سبتمبر ، وبعد الغداء خلقنا بطائرته الخاصة التي
يقودها بنفسه . . إن أحداث هذا الشهر تتداخل وتتشابك في ذاكرتي أطيافاً
بعيدة لسعادة لم أصدق أنها ملكي ، وكأنني عشتها بين السحاب بعيداً عن
الأرض .

حتى جاء اليوم الذي كنا نجلس فيه على الأريكة الصغيرة في منزل الأميرة
شهنار بعد انصراف المدعوين والأميرة وزوجها ، وإذا به يخبرني أنه تزوج
مرتين ، واضطر للانفصال عنها لأسباب سياسية ، ويسألني إن كنت أقبل
العيش معه ليس كزوجة عادية فقط ، ولكن كشريكة تقف إلى جانبه وتحمل
المسؤوليات الجسام في سبيل الوطن . هزني الموقف من الأعماق برغم أنني كنت
أتوقعه ولا أدري كيف ولا من أين جاءت الكلمات ؛ ولكنني قلت : نعم .

قال لي فيما بعد : إنه قرر أن يتزوجني منذ المرة الأولى التي رآني فيها عند
الأميرة شهنار .

قدر عجيب ذلك الذي يتحكم في مصائرنا وأنا صغيرة كنت أنخيل زوجي
رجلاً طويلاً أشقر الشعر أخضر العينين ، ولم يكن الملك كذلك ، أما هو فكانت
تروقه المرأة البيضاء الطويلة القامة ذات الشعر الفاتح ولم أكن كذلك باستثناء

طول قامتي - لهذا سألته في فضول :

- ولكن لماذا اخترتني أنا بالذات ؟

أجاب : إنها بساطتك الشديدة

قلت : ولكن كيف أظهرتها ؟

قال : بينما كنا نلعب الراكيت «كرة المضرب» في ملعب شهنار تناثرت الكرات هنا وهناك فكنت تنحنين لالتقاطها بمنتهى البساطة وبدون أى ضجيج . ولقد راقى ذلك .

واعتقد أن مظهرى أيضاً أعجبه . لم أكن مفرطة الجمال . لكنه يحب المرأة الطويلة وربما فكر أنه يزوجه منى بنجب أطفالاً طوال القامة .

عندما أنظر اليوم إلى صوري القديمة . أتساءل كيف أعجبه بشعري الأسود الفاحم . ووجنتي البارزتين وتسريحة شعري المعقدة التي كانت موضوعة وقت ذلك ؟

أعتقد أن المرأة تنضج بمرور الوقت فتتعلم كيف تتقن هندامها . وكيف تترين ؟ وبرغم أنها تفقد نضارة العشرين فإنها تجد شخصيتها الحقيقية .

وبصراحة ولعلها جرأة منى - أجد نفسي اليوم أجمل كثيراً من ذى قبل حتى إننى أحببنا أداعب زوجي قائلة :

«إنك بعيد النظر» فقد كنت تعرف أنني سأزداد جمالاً بمرور الوقت مثل السجادة العجيبي الأصلية» .

أخذت بالأحداث الكبيرة التي أحاطت بي . وبدأت أسائل نفسي : سأتزوج ملكاً ! ولكنني مثل أية شابة أخرى تقلقني صورة الحياة بين اثنين . حقيقة كنت أحبه حباً جماً وأحرمه ، ولكنني أيضاً بلا تجارب لأنه أول رجل في حياتي .

حتى أُمى كانت مزهورة وقلقة في الوقت نفسه وشغلها سعادة ابنتها فأربكتها . وكثيراً ما كانت تتساءل عما كان يفعله أي لو كان ما يزال حياً . وبرغم السعادة البالغة التي تنبئني المواجهات ، وهاجت خواطري ، وبدأت أفكر في الأعباء الجسيمة التي تنتظرني كزوجة ملك ، لم يكن زواجاً عادياً . فلا بد أن أخدم بلا دى أولاً ، وأحاول قدر المستطاع مداواة جروحها . هل استعددت لدور الإمبراطورة ؟ لا أعرف كيف نتعلم مثل هذه المهنة . ولكنني أعتقد أن دراستي علمتني معنى الحياة ومعنى المسؤولية - فقد كنت رئيسة الكشافة ورئيسة فريق كرة السلة ومن خلالها اكتسبت الروح الرياضية والعمل الجماعي : كما عشت بمفردي في باريس ، فتعلمت أهمية الحرية وحدودها ، وتعلمت كيف أختار ؟ ومتى أقرر ؟ إن كل تجربة نجيد استيعابها لبنة في صرح المستقبل .

طوال فترة الخطبة كنت أسمع التعليقات على سلوكي تردد : « إنها تتصرف كما لو كانت طوال حياتها ملكة » ...

بلا شك مصدر هذا الشعور هو ثقتهن في حبي العتيق للسلوك . وقد وصلتني مئات الرسائل الرقيقة ، ولكن بعضاً آخر كان يسألني بوقاحة شديدة : كيف تتزوجين رجلاً في سن والدك ؟

وأعتقد أن هؤلاء لا يعرفون الحب : فلو عرفوه لأدركوا أننا حين نحب يصبح الاثنان كياناً واحداً ، وعلى الرغم من فارق السن الكبير بيني وبينه أشعر أحياناً أنني مثل أمه أو ابنته أو أخته مع كوني قبل كل شيء زوجته .

بعد ذلك قدمني الملك لأفراد عائلته المقربين . فجلست على مقعد صغير بجوار الملكة الأم التي كانت تجلس على الأريكة . فقال خبيث : « إنها تجلس على المقعد الصغير ! » ولكن أين كانوا يريدونني أن أجلس ؟ لم أكن لأستطيع

الجلوس بجوار الملكة الأم ؛ لأن ذلك يعد تقليلاً من شأنها ، وكنت قد سمعت الكثير عن شخصيتها القوية المتكاملة ، كما علمت بالخلافات العديدة التي كانت بينها وبين ثريا ، إلا أن الأمر اختلف معي ؛ لأنها فتحت لى قلبها منذ اللقاء الأول وأنا أكن لها احتراماً وتقديراً بالغين ، فضلاً عن إعجابى بصراحته اللاذعة فهي تقول كل ما تريد أن تقوله لأى إنسان فوراً ودون مواربة . كما حدثونى كثيراً عن الأميرة أشرف الأخت التوأم للملك التي لمست منذ اللحظة الأولى ذكاءها الشديد وشخصيتها الفريدة ووطنيتها المفرطة ونشاطها الموفور ، وقد بقيت دائماً لطيفة ومعاملة تغمرفى بالهدايا والرسائل من أى مكان تسافر إليه .

أما الأميرة شمس والأميرة فاطمة فقد رحبتا بى منذ المقابلة الأولى وقد استطعت الاحتفاظ بهدوى ، وإن لم أستطع مداراة خجلى . أما هن فكن على سجيتهن ، فانطلقن يسألننى بلطف آسر عن حياتى ، وعائلتى ، ودراسى . وميولى ؛ وأجبت بأكبر قدر ممكن من الصراحة والتلقائية : وهنا أيضاً تفرمنى التفاصيل الصغيرة لأننى أخذت بالأحداث الكبيرة .

والحقيقة أنى لم أجد صعوبة تذكر ؛ لأن الذى كان يهمنى بالدرجة الأولى هو رأى الملك فى ، ولقد طلبنى للزواج ، ومنه مبعث قوتى ، وأحببى وهذا هو الأساس .

وبقدر ما أفدت من علاقتى بالأميرة شهنار - لأنها هى التي قدمتنى لوالدها - سعدت أنى عرفته عن طريقها ؛ فقد يتبادر إلى الذهن أن من يعرفك بالملك لابد أن يستغل ذلك للسيطرة عليك ، ولكنها لم تفعل ذلك ، بل كانت سعادتنا هى كل ما يهمها - وأعتقد أن ذلك يرجع لانفصالها المبكر عن والدتها والوحدة التي عانت منها فى طفولتها .

ولآل بهلوى حياة عائلية مترابطة ، فنحن نجتمع للعشاء معظم أيام الأسبوع لدى أحد أفراد العائلة ، وتربطني بهم صلوات متينة عزيزة على نفسي . وتغمرني السعادة في كل مرة أراهم فيها ، ولم يحدث أن صادفت مشاكل مع أى منهم باستثناء ضرورة مراعاة المساواة في التعامل مع الجميع بالقدر نفسه ، والحرص على عدم التخلف عن هذه الاجتماعات . حتى لا يساء فهم غيابي : فبعد ١٧ عاماً من الحياة العامة ليس من حق الشعور بالتعب أو الصداق ، بل أنا دائماً الخوف من جرح من يحبونني إن لم أبتسم . وربما يرجع حرصى هذا إلى الخلافات العائلية الكثيرة التى عانيت منها في طفولتي ، والتي أحاول إبعاد زوجي عنها دائماً .

في الحياة العامة الأمر نفسه ، فيجب ألا أنسى أنني دائماً محط الأنظار . وفي أثناء افتتاح إحدى الدورات البرلمانية جاء من يسألني :

«ماذا حدث ، لم تكوني على مايرام ، هل هنا مايسوء ؟

فأجبت بحدّة : ماذا تريدونني أن أفعل في مثل تلك اللحظة المهيبة ؟

هل المطلوب مني أن أضحك هنا أيضاً ؟

* * *

قبل إعلان الخطبة الرسمية قررت السفر إلى باريس لشراء الجهاز وثوب الزفاف ، وعرض على الجميع مرافقتي : فهذه تريد أن تساعدني في انتقاء الفساتين . وتلك في اختيار القبعات ، ولكن كيف أداري إحساسي البالغ بالخروج من نساء أعلم جيداً أنهن كن مقربات لثريا ؟ لم يكن من الأمانة أن يغيرن مشاعرهن تجاهها بين عشية وضحاها . ولكنني في النهاية كنت أعلم أنه من الطبيعي أن يحاولن إرضاء الملك .

وبالنسبة لي شخصياً احترمت أكثر من لم يقطع صلته بثريا إرضاء لي وتقرباً إلي .

كان كلُّ يحقد في ويتفحصني فيراقب طريقة سيرى وجلوسى . وحديثى ،

ويخطب ودى ويتقرب إلى ولكنى كنت أعامل الجميع على قدم المساواة .
وسافرت إلى باريس مع عمى واثنين من خالائى . وأقنا فى فندق كريون .
وأطلق الملك يدى لشراء ما أريد ، فكنت أتوجه منذ الصباح الباكر لمشاهدة
متاجر أكبر شوارع باريس . سانت هونوريه . وبيوت أزياء ديور Dior
وكاريتا .

وجدت نفسى قبيحة فى المرايا . فالموضة كانت تختلف اختلافا كبيرا وموضة
اليوم فأنا اليوم أرتدى ثياباً أكثر شباباً وجالاً عن ذى قبل .
لم يكن الملك قد أعلن خطبتنا رسمياً بعد ، ولكن ما إن وطئت قدمى مطار
سويسرا حتى تراحم حولى الصحفيون والمصورون الذين ظننت بسداجة أنهم
جاءوا من أجل الوزير الذى معنا فى الطائرة -- وكل يتسابق لرؤية ملكة إيران المقبلة .
فى باريس لاحقونى كظلى لتصوير كل حركة وكل كلمة حتى إنهم عرقوا
المرور عدة مرات فى شارع الشانزليزيه - وفى الفندق دفع أحدهم رشوة للمدير
ليستأجر غرفة فى الطابق نفسه معى .

وكلعة الاستغاية ركضوا ورائى فى كل مكان ، إذا نزلت إلى بهو الفندق
وجدتهم ينتظرون ، إذا ركبت السيارة تشبثوا بنافذتها . حتى أصابونى بالذعر
الشديد خشية سقوط أحدهم تحت عجلاتها .

لهذا ظهرت مجموعة كبيرة من الصور وأنا فاعرة فى استغلها بعض فىما بعد
ليشبعوا أننى تعسة ، وقد بدأت المطاردة منذ اللحظة الأولى التى رأونى فيها فى
مطار أورلى وأعمتنى فلاشاتهم وتقاذفتنى أيادهم فلم أعد أدرى إلى أين
يسوقوننى ؟ وفى إحدى المرات فقدت حدثائى !

لكننى لم أجد صعوبة فى التعامل معهم لإجادنى الفرنسية ولأنهم كانوا
يعدوننى واحدة منهم ، كما وجدوا فى دراسى موضوعاً خصباً لتحقيقاتهم .

كان الملك قد طلب منى ألا أخبر أحداً بزواجنا . ولم أبح بالنسر إلا لصديقائى المقربات . أما الباقيون فعرفوه من الصحف .

وبعد عودتى من باريس أعلنت خطبتنا رسمياً يوم ٣ من نوفمبر ١٩٥٩ . وأقيم احتفال صغير حضره أفراد العائلتين وبعض الوزراء ورؤساء الغرف وبعض رجال القصر . وارتديت ثوباً أخضر مطرزاً ولكنه بسيط ، ولم أرتد أى مجوهرات وصفت شعرى بفرق فى المتصف وشينيون كبير ، أصبح من بعدها موضة فى العالم وأطلقوا عليه لمدة طويلة « تسريحة فرح دينا » والغريب فى الأمر أنهم مايزالون فى الخارج يطلقون على فرح دينا حتى اليوم .

أهدى لى الملك خاتماً ثميناً ثم قدم الشاى والجاتوه للمدعوين . وتصادف أن كان زواج الأميرة فاطمة فى اليوم نفسه ، فتوجهنا بعد الخطبة مباشرة إلى قصر الملكة الأم الذى عشت فيه بعد زواجى شهراً كاملاً .

وقتها كان لدى الملك متسع من الوقت لتنتزه معاً ، ولتركب الخيل معاً ولنحلق بطائرته الخاصة فوق إيران . وكنت أنا أكثر شجاعةً من الآن . فلم أكن أخشى ركوب طائرته البدائية الصغيرة التى أوشكت على السقوط بنا فى إحدى الممرات على حين أتى اليوم أجزع من أى ذبذبة غير عادية فى الطائرات . وهو من هواة القيادة السريعة فكان يقود بسرعة ١٢٠ كم فى الساعة ولم أكن أخاف . أما اليوم فإذا تعدت السيارة ٨٠ كم فى الساعة أرنجف وأتجمد من شدة الخوف . وربما يكون تقدم العمر هو السبب فى ذلك التغيير

عقب إعلان الخطبة ظهرت عناوين الصحف الغربية تقول :

« شاه إيران يتزوج راعية أغنام » - كما قارنوا بينى وبين سندريللا . وهذا دليل على أنهم يجهلون أساطيرهم . فلقد نسوا أن سندريللا كانت ابنة ملك .

أما أنا فلا .. فأنا فتاة عادية وبسيطة وإن كنت من عائلة إيرانية معروفة .
أثارت هذه التعليقات المبالغة حتى أهلى وثورتهم فكانوا يقولون : «لست
مولودة فى الشارع ، ولست راعية أغنام ، بل أنت من عائلة إيرانية عريقة
ومعروفة .

من ناحيتى لم أكلف نفسى عناء تكذيب الصحف ، لأننى شخصياً وجدتها
فى مصلحتى ؛ لأنها قربتني من عامة الشعب ، وأنا ابنة هذا الشعب ، فليس فى
إيران أرستقراطية أو ألقاب رنانة مثل الأمير والدوق والبارون كما فى الغرب ،
وأعتقد أنه شيء جميل أن يكون المرء سليل النبلاء ، ولكن الأهم من ذلك
قيمة الإنسان ذاته .

وأخيراً جاء موعد الزفاف يوم ٢١ من ديسمبر ١٩٥٩ :
قبله ببيلة ارتديت على سبيل التجربة ثوبى الرائع الذى صممه بيت أزباء
كريستيان ديور المرصع بالؤلؤ والماس والمشغولة أطرافه بفراء الفيزون ، والمعطف
بذيل طويل ويزم بعقدة على الصدر وخصص للاحتفال الدينى .
وجاءت الأخوات كاريتا من باريس خصيصاً لتصفيف شعرى ووضع
التاج والطرحة البيضاء . ثم ارتديت العقد ومجوهرات التاج . ذلك التاج الماسى
الشهير الذى تتوسطه ماسة وردية ضخمة . والقرط المرصع بالماس والزمرد ،
وتطلعت إلى نفسى فى المرآة والأبدى تتقاذفنى غير مصدقة أننى حقاً التى تعيش
هذا الحلم الجميل ، وأن كل هذا يحدث لى .

وفى اليوم التالى جاءت الأميرة شهناز ووزير البلاط الملكى لاصطحابى من
منزل عمى إلى القصر ، وساعدتنى أمى وخالتى وإحدى صديقتائى فى إدخال
الذيل الطويل فى السيارة - وطوال الطريق رأيت هتافات الجماهير وتصفيقهم

فكنت أرد تحيتهم دون أن يتبادر إلى ذهني ولو للنحظة أنهم جاءوا لرؤية المرأة الجديدة التي جاءت لتحل محل أخرى عرفوها ، بل وجدت في لقاءهم الخار الحب الذي بادلتهم إياه دائماً .

وفي القصر الرخامي اصطفت فتيات الشرف لحمل ذيل الثوب ، ومضى أمامي صبي صغير ينثر الورد البيضاء ، وقبل مغادرتي المنزل . وعند دخول القصر عبرت من تحت المصحف ، ثم مررت تحت القبة الإسلامية التي في البهو الفسيح حيث العرش المرصع بالمرايا .

وأمام الزوجين يوضع غطاء أبيض فوقه مرآة ترمز للسعادة ، وشمعان يرمز للنور ، وقالب سكر يرمز لحلاوة الحياة ، وعملات ذهبية ترمز للإعانة التي تنالها الفتاة في حالة الانفصال .

ثم بدأ المأذون يتلو بعض الآيات القرآنية .
ووفقاً للتقاليد الإيرانية يسأل المأذون العروس ثلاث مرات إذا كانت ترغب في الزواج ، والمفروض ألا تجيب قبل المرة الثالثة . ولكن فرط انفعالي جعلني أقول نعم منذ أول مرة . والأغرب من ذلك أنني نسيت دبلّة زواج الملك في دوامة الأحداث ، فاقترضنا دبلّة أحد أقاربه .

ثم وقعت بيد مرتجفة اسمي الجديد لأول مرة «فرح بهلوى»
ولا أدري من شدة ارتباكى : هل أكملت الغرز التي يطلب من العروس حياكتها ليلة الزفاف والتي ترمز إلى إغلاق فم الحماة للأبد أو أن غيرى أكملها ؟
وأخيراً أطلقت التمامات من القفص رمزاً للسعادة والسلام .

سافرنا في شهر العسل على شاطئ بحر قزوين ، وحينما أتذكر اليوم ذلك المنزل الصغير المتواضع أجده في غاية البساطة ، مجرد حجرة خشبية قبيحة تعد

بداية طريق هواة الترحلق على الماء بداخلها أسرة حديدية وأثاث قديم ، ولكننا نسينا كل هذا في غمرة السعادة التي عشناها .

بعد العودة اختار الملك رئيساً لمكتبتي . وبدأت أولى الخطوات الجادة كحضور الاستقبالات والرد على رسائل التهنئة .

وشيئاً فشيئاً بدأ نشاطي الحقيقي كملكة . في البداية كان يعتريني السأم والملل لكثرة الفراغ . ولم أكن أتخيل أنه سيأتي اليوم الذي لا أجد فيه الوقت لأفعل ما أريده .

كنت أخرج مع الملك كل مساء مثل كل الزوجات ، وكان لي تصوري الخاص عن الطريقة التي أحب أن يعبر لي بها عن حبه . فكنت أقول : يجب أن يفعل كذا وكذا . أو لم يفعل كذا وكذا - ولكن وضعه الاجتماعي يفرض عليه سلوكاً معيناً لهذا نصحتني أمي قائلة : « يجب ألا تتصرفي كصفلة مدلاة » .

في ذلك الوقت لم تكن العلاقة بين الأم وابنتها كما هي اليوم : فالأم اليوم تشرح لأبنائها كل حقائق الحياة بدون رتوش منذ سن مبكرة . كما كان طرق المشاكل الجنسية محظوراً ومستهجناً . فلم أكن أجرو على مناقشتها مع أمي ، لأن ذلك لا يليق بين الأم وابنتها . في حين أن العكس تماماً يحدث اليوم مع أبنائي منذ سن الثالثة . فإذا سألتوني من أين جاءوا أو كيف ولدوا ؟ أحاول شرح الحقيقة ببساطة . ولا أتهرب منهم قائلة إننا وجدناهم داخل خرشوفة أو وردة .

وقد تعلمت بنفسى أن الزواج قسمة بين اثنين يعطى كل منهما الآخر جزءاً من نفسه . ويتخلى عن أنانيته . ويحاول فهم احتياجات الآخر . لهذا أصبر على تخصيص حصص في المدارس الثانوية والجامعات لتعليم مبادئ الزواج

الصحيح . حتى لانتلنى بالشباب فى معترك الحياة دون دراية بالحياة المشتركة لأن
الطلاق سوف يطل عند أول عقبة .

هناك تفاصيل صغيرة قد تبدو قليلة الأهمية ، ولكنها فى الحقيقة أساسية فمثلاً :
الملك دقيق جداً فى مواعيده ، أما أنا فأحياناً أتأخر وأوهم نفسى أن بعض
التأخير ليس بالأمر الخطير . وقد ينفد صبره ويصل الأمر إلى حد الذهاب
للسهرة غاضبين ، لهذا أحول الموضوع بأى طريقة . وبدلاً من أن أقول له :
« لم أتأخر » - أحاول امتصاص غضبه بأى وسيلة . فأسأله مثلاً رأيه فى ثوبى .
أو أذكره الهدية التى وعدنى بها لأن واجب الزوجة هو البحث عن راحة زوجها
وسعادته .

وعلى الرغم من أن هذه الحوادث قد تبدو لبعض صغيرة وثافهة . فإن
تراكمها يعطيها وزناً أكبر من حجمها ، فالحياة نعم مشترك يجب أن نتعلمه .
قبل الزواج لم أفكر لحظة فى الأطفال ، بالرغم من أنه أمر أساسى فى النظام
الملكى ؛ لأن الاستعداد للزواج استحوذ على كل تفكيرى .

ولكن سرعان ما بدأت ألاحظ نظرات الجميع من حولى تترقب أى بادرة
للحمل . وانتقلت العدوى إلى . فاستشرت فى كيانى ، واستحوذت على
تفكيرى ، وأقلقتنى المواجس والظنون . حتى بت أصدق أننى قد لا أستطيع
الإنجاب أو قد أنجب بنات فقط ، وبكى طويلاً من شدة الحزن عندما مر
الشهر الأول بدون حمل .

ثم اقترحت على أخت الملك عرض نفسى على طبيب قالت : إنه سيرشدنى
لبعض التعليمات التى تزيد من احتمال إنجاب ولد ، وأتى الطبيب ليفحصنى بعد
شهرين من الزواج ، وخرج بدون دواء ، ليعلن على الملأ أننى حامل .

• • •

شعرت بسعادة غامرة بعد أن أعلن الطبيب أنني حامل ، وزاد من سعادتي الحنان والرفقة اللذان أغدقهما على زوجي طوال فترة الحمل .

وبدا الحديث عن إحصار كبار أطباء الولادة من الخارج ، ولكنني رفضت لإحساسي بأن الولادة من أسهل العمليات الطبيعية وثقتي بأن في إيران أطباء أكفاء . وإذا قدر لي يوماً أن أنجب ولياً للعهد فإني أفضل أن يكون بأيد إيرانية . وبما أن الحمل الأول يستلزم مزيداً من العناية فقد قررت أن تتم الولادة في المستشفى بدلاً من المنزل . ورفضت الذهاب إلى إحدى العيادات الأنيقة واخترت مستشفى شعبياً عاماً للولادة في جنوبي طهران يرتاده أبناء الشعب البسطاء . وكانت هذه إحدى وسائل التعبير عن حبي لهذا الشعب .

وحانت اللحظة المتوقعة في ساعة مبكرة من الصباح ، واصطحبني زوجي في السيارة وعمت الفوضى بين الجميع وكل يبدى الرغبة في الحضور معنا . الملكة الأم . والدتي . أخوات زوجي ، الوزراء ، كل منهم في حالة بالغة من التهييج والقلق ، وأبدت النساء الرغبة في دخول حجرة العمليات لينالن حظ حضور أولى صرخات ولي العهد وإعلان النبأ للملك .

وانفجر النبأ السعيد كقنبلة مدوية زلزلت أرجاء إيران . ورأى أول أبنائي النور يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٦٠ أسميناه رضا مثل جده . وقوبل مقدمه بعاصفة من الغبطة والسرور لأنه يضمن مستقبل الأسرة المالكة .

ونسيتي الجميع في غمرة السعادة ، ولم تتذكرني سوى أمي التي سألت في قلق . وابنتي ؟ كيف حالها ؟ ؟ فلقد أعطاني الطبيب كمية كبيرة من المخدر أفقدتني الوعي لمدة طويلة وبدأ يقلق ، ولكنني بدأت أسترّد وعيي بعد مدة كبيرة وشعرت بيد الممرضة تربت برفق على وجنتي وتناديني بصوت هامس : « صاحبة

الجلالة : صاحبة الجلالة : « وشيئاً فشيئاً أفقت على زوجي يختنص يدي
ويؤلمني : »

هل تريد أن تعرفي ؟

نعم

إني وإنه ولد

أجهشت بالبكاء من شدة الفرح ورغماً عني ساءلت نفسي : ماذا كان يحدث
لو أنني أنجبت بنتاً ؟ كنت بالتأكيد سأخيب رجاء الجميع . كانت إيران كلها
تنتظر مولد ولي العهد . والصحفيون الأجانب تجمعوا منذ أسابيع أمام المستشفى
لإعلان النبأ على العالم . وأرسلت لي نساء من جميع أنحاء العالم تعاويذ تجلب
الحظ والبركة من ضرسها قطعة دانتيل صغيرة من مهد أم لاند إلا ضية قالت :
إني حجاب ذو قدرة سحرية . وتلقيت من فرنسا عشرات الجوارب الزرقاء ، كما
وصلتني رسائل كثيرة تطمئنني وتبشرنني . إحداهما كتبت لي : « لا تجزعي لقد
رأيت في ورق اللب أنك سوف تنجين صبياً ، وأخرى رأته في المنام أنني
سأنجب صبياً جميلاً . »

والحقيقة أن إنجاب ولد أو بنت لم يشغلي كثيراً طوال فترة الحمل فهو
بالنسبة لي وقبل كل شيء ابني . ولكن بعد الولادة لمست مدى السعادة التي
أضفيها المولود الجديد على الجميع . حتى في فرنسا كتبت إحدى المجلات في
صدر أحد موضوعاتها تقول : « إنه » ولد .

وأراد الملك أن يتوجه للمسجد ليصلي شكراً لله . ولكنه لم يستطع أن
يتحرك لتزاحم الحامير الغفيرة حول سيارته حتى كادت أن تقلب . وعلمت من
الإذاعة وأنا في المستشفى أن الشعب ظل أياماً يرقص في الشوارع كل مساء
احتفالاً بالمناسبة السعيدة . ورفض أصحاب سيارات الأجرة تقاضي أجر من

الركاب : واشترى العمام الحلويات والمنبس ووزعوها في المصانع . ووزع البائعون الفاكهة على المارة بدون مقابل : كما عفا زوجي عن عدد كبير من المساجين من شدة الفرحة .

وتنفس الصعداء : فقد كان وجود رضا خير سهام توجه لحملات الوشاية والتشجيع التي أطلقها ضدنا طوال فترة الحمل إحدى الإذاعات السرية التي تطلق على نفسها « إيران الحرة » كانت تزعم أن الملك غير قادر على الإنجاب وأن حملي غير حقيقي وإنما هو تنكر متقن . لهذا اضطرت للظهور عمداً أمام المصورين بالرغم من مظهرى القبيح . واستباحوا لأنفسهم كل الوسائل الدنيئة لتشهير بنا وبلغ الأمر إلى حد اختراع قصص خيالية . فقالوا : إنني ذهبت إلى مستشفى عام لأنني لنفسي طفلاً من هناك . وإن رضا ليس ابن الملك الحقيقي . وأعتقد أن رضا نفسه خير جواب لكل ذلك فهو نسخة مطابقة من والده .

مكثت في المستشفى أسبوعاً حاولت خلاله إبعاد عيني طفلي عن أذى فلاشات المصورين . وعندما ركب السيارة ومعى طفلي وزوجي بكبت تأثراً بمظاهرات الفرح والحب التي استقبلتنا بها الجماهير .

ثم ولدت فرحناز يوم ٢١ من مارس سنة ١٩٦٣ كم هو جميل أن يرزق الإنسان بنت بعد الولد ؟ وهذه المرة تمت الولادة في القصر - ويومها صرخت الأميران أشرف وشهناز من شدة الحماس حتى إن أحد موظفي القصر سقط فرعاً من على درجات السلم وكان قادماً ليعطيني المصحف « فرح » بالإنجليزية تعني فرحة و « ناز » وتعني حنان - وهي شديدة التعلق بوالدها . وحين بلغت السادسة من عمرها كانت دائمة الالتصاق به وترفض الذهاب لغيره حين يكون موجوداً . ومثل كل الآباء كان الملك فخوراً بأبنائه شديد التأثير بهم له - ثم أنجبت

على رضا يوم ٢٨ من أبريل ١٩٦٦ وهو يحمل اسم عمه الذى مات فى حادثة طائرة .

واكتسبت سعادتي بإخجاب ليلي يوم ٢٧ من مارس سنة ١٩٧٠ بعد أن وهبني الله الأطفال الذين تمنيتهم وكما تمنيتهم : فأنا بطبيعتي أحب الأطفال . وكنت أتمنى أن يكون لي عدد أكبر . ولكن كيف أعطى المثل السببي وأنا أقود حملة تنظيم الأسرة . وأطالب الآخرين بتحديد النسل .^٢ وأعتقد أن أربعة أطفال عدد نموذجي وكاف وخاصة أنني لا أكرس لهم الوقت الذى أتمناه .

وقد قررت أنا وزوجي تعليم أبنائنا بطريقة طبيعية على قدر المستطاع وإتاحة المناخ الملائم لهم لممارسة طفولتهم كبقية الأطفال بغض النظر عن أى اعتبارات بروتوكولية . فرفضت إحضار مدرسين خصوصيين لتعليمهم . وبنينا مدرسة صغيرة فرنسية إيرانية وسط القصر يرئسها ستون تلميذاً من مختلف الطبقات . وقد تم اختيارهم على حسب كفاءاتهم العائلية والذهنية .

وأهم ما يشغلنا هو تعليم رضا واضعين نصب أعيننا دائماً المسئوليات التى سيكون عليه أن يباشرها مستقبلاً فبدأنا نعلمه مهنته المستقبلية كمالك نخطى حثيثة تردد كل عام . فبعد الثالثة من عمره بدأ يشترك فى الحفلات الرسمية لتعليم السلوك القويم . وهو ليس أمراً سهلاً لمن فى مثل سنه . وبدأنا شيئاً فشيئاً نشرح له الواجبات الهامة التى سيقوم بها دون أن نلقى بها دفعة واحدة حتى لا يفرغ أو يبالغ فى تقدير العبء الذى سيلقى على كاهنه مستقبلاً . وفى الوقت نفسه حرصت على أن يعامل فى المدرسة كمائر زملائه الصغار . وفهم أصدقائه أنهم يستطيعون مناداته رضا واللعب معه فى بعض الأحيان بعكس المناسبات الرسمية حيث تتغير العلاقات وتبعد المسافات وأعطيته المثل الحية عن طريق

عدلنا الدءوب المخلص أو عن طريق مناقشات مرتجلة حول الأحداث الجارية .
وأحياناً أتوقف في أثناء السفر لأعرض عليه المشاكل التي تعاني منها منطقة
معينة ويرد على وفقاً لما يمليه عليه خياله الصغير من حلول إذا ما قدر له أن يكلف
برفع مستوى معيشة أهل القرية خلال سنتين أو ثلاث . فيقول لي : إنه سيختار
الشباب ثم يرسلهم للمدارس ليصبح أحدهم مهندساً والآخر طبيباً والثالث
خبيراً زراعياً .

أحياناً نرسلهم خلسة دون أن يتعرف عليهم أحد إلى جنوب طهران حيث
المناطق المحرومة ، وحينما اكتشف رضا الفقر والظروف المادية الصعبة التي تعيش
فيها بعض العائلات . تأثر بشدة ومن المؤكد أنه قال لنفسه : « لا بد أن أتي
لايعرف ما يحدث هنا » وعند العودة يبدى الملاحظات لوالده . وهنا تحين
الفرصة لنشرح لرضا أن التغيير لا يأتي بضربة واحدة وأنه يحتاج لكثير من الوقت
والجهد ، ونستغل الفرصة لنحدثه عن مشاكل إيران ، وأن أهم شيء هو التعليم
وإيجاد عمل لأكبر قدر ممكن لأن مساعدة مادية طارئة لا تحل كل شيء .
وبهذه الطريقة المبسطة بدأنا إشراكه في أمور الدولة ، واليوم رضا شاب
بافع يبلغ السابعة عشرة ، وسوف يلتحق بالمدرسة الحربية بعد وقت قصير وليس
الهدف من تعليمه التخصص في أحد الفروع ولكن الأهم هو أن يتعرف على
وطنه وشعبه .

ولن يتلق تعليمه في الخارج . لأن التعليم تقدم بدرجة مدهنة في إيران ،
ولأن والده عندما كان يتعلم في سويسرا وضع بين يدي وصي دائم الرعب
والخوف عليه إلى درجة أنه منعه من كل شيء كالترحلق على الجليد أو السباحة
أو حتى ركوب الدراجة ، في حين أن رضا اليوم يقود الطائرة والسيارة ويتزحلق
على الجليد ويصطاد ويمارس الغوص تحت الماء وسائر الأنشطة التي تنمي عقله

المبدع وتبنى جسده الشاب ، ولقد كبر كثيراً في الآونة الأخيرة حتى فاق أباه طولاً .

أما فرحناز وعلى رضا وليلى فصدر سعادة متجددة كل يوم وتعليمهم أقل مشقة من رضا .

أنا أعلم أن أولادى ليسوا كسائر الأطفال العاديين ولن يكونوا كذلك يوماً . فسوف تنقصهم دائماً بعض القدرات البسيطة التى لا يتعلمها المرء إلا فى الشارع أو حين يعانى مصاعب مادية لم يعرفوها بالرغم من أنهم رأوها فى أثناء السفر أو فى أثناء اللقاءات المختلفة . ولأنها سوف تكون مصدر قلقهم فى المستقبل . أنا نفسى بعد كل هذه الأعوام لا أعرف كيفية احتراق زحام السوق لشراء أكالات العائلة كيفية النساء .

ولكن بغض النظر عن هذه الناحية . تواجهنى نفس مشاكل الأم العاملة : فأنا أعشق عملى وأعتقد أنها نعمة من الله أن يجد الإنسان لنفسه عملاً هاماً لينجزه حتى لو ندمت أحياناً لأنه يأخذ وقتاً من العناية بأولادى ، فالتوفيق بين واجبات الأم وواجبات الملكة أمر شاق . لأننى مسئولة أيضاً عن توفير وقت للعناية بآلاف الأطفال الإيرانيين ، ولكننى فى النهاية أقول لنفسى : أليس مستقبل إيران الذى وهبت له نفسى هو فى الوقت نفسه مستقبل أبنائى ؟ هذه الفترة التى تخطيتها بالحديث عن أولادى لم تكن وردية ، لأن إيران واجهت خلالها ظروفًا عصيبة وتجارب مريرة . ويكفىنى أن أتذكر المحاولات المتكررة لتجنرال بختيار فى الستينيات لقنب نظام الحكم والمظاهرات الدامية فى طهران سنة ١٩٦٣ واغتيال رئيس الوزراء على منصور فى يناير سنة ١٩٦٥ . ولن أخوض فى هذه التجارب الأليمة لأن المؤرخين أقدر منى على وضعها فى مكانها الصحيح وخاصة أنه قد تمخض عنها أعمال أدبية وافرة - كما لن أخوض

طويلاً في ثورة الشاه والشعب لأن زوجي حللها بعمق في مؤلفاته ويعرفها جيداً محللو إيران السياسيون .

ونكتني أقول ببساطة : إن قيام الثورة يوم ٢٦ من يناير سنة ١٩٦٣ بعد واحداً من أهم الأحداث في تاريخ إيران المعاصر . كما تُعتبر من أهم المنعطفات الفاصلة في تاريخها : فقد قدم الملك لبلاد الميثاق الاجتماعي الذي يعد قطعة نهائية لكل التركيبات الإقطاعية البالية ، كما أصدر قانون الإصلاح الزراعي الجذري الذي أعطى من خلاله المثل والقُدوة الأولى بتوزيع كل أراضي على الفلاحين . كما أمت الثورة كل الثروات الطبيعية . ومنحت العمال حق المشاركة في أرباح المشروعات . وحق الانتخاب المباشر . وكذلك أعلنت عن بداية جهد لانظير له في مجالات التعليم والصحة . فهي ثورة تفيد الجميع وتنصب مؤازرتهم وقد قوبلت بتأييد شعبي هائل فور صدورها .

وبالنسبة لي كان أثرها حاسماً لأن الإصلاحات الجديدة التي قادها الملك زادني إيماناً وشجاعة وإصراراً على تأدية الرسالة . فلم أكن لأستطيع الاستمرار في عمل وسط مظاهر الظلم الاقتصادي والاجتماعي وكنت سأفتقر إلى الحماس الخائل الذي أعمل به اليوم . وبعد الثورة مباشرة في أثناء إحدى زياراتي لبلوخرستان التي كانت واحدة من أكثر قرى إيران تخلفاً قلت بعفوية لمن استقبلوني : « أنا أيضاً واحدة من جنود الثورة » وأحسست أن الجميع يشاركني الشعور الجارف .

وفي يوم ١٠ من أبريل سنة ١٩٦٥ وقع حادث مفاجئ هزني بعنف وعنيت منه كثيراً : ففي حوائى التاسعة والنصف صباحاً بعد أن وصل الملك إلى قصر المرمز حيث يزاول عمله اليومي . فوجيء في أثناء اجتيازه الردهة برصاصات من حوله يضالعها أحد حراس الحرس الملكي الذين يؤدون الخدمة العسكرية . وفر

الحارسان انذران يتولين حراسة البوابة الرئيسية وحاول أحد الخدم إغلاق باب المكتب على الملك دون جدوى . لأن القتال كان يتقدم نحوه . وتدخل اثنان من الحراس بتسددات صغيرة لاعتراض طريقه فأصيبا .

وكان الملك في هذه اللحظات يقبع ساكناً في مكتبه يسمع مايجرى في الخارج ، وفجأة أصبى الصمت ، فخرج ليجد ثلاث جثث على مدخل الباب : فقد نجح الجنديان الباسلان في قتل المجرم قبل أن يلقياً مصرعهما . ونجا الملك بمعجزة إلهية : لأن القتال كان على بعد أمتار قليلة منه ووسط ذهول الموظفين عاد الملك ليزاول عمله اليومي في هدوء شديد وكأن شيئاً لم يكن . أما أنا فكنت أجهل ما يحدث وكنت أستعد لاجتماع هام مع نساء مؤسسة بهلوى حين رن جرس الهاتف وجاءني صوت الملكة الأم على الطرف الآخر يسألني :
ألا تعرفين ما حدث ؟

لا .

لقد أطلقوا الرصاص على الملك .

احتبست أنفاسي وتوقف نبض قلبي وانتظرت بقية الكلمات . ولكن الملكة الأم كانت تردد « لقد أطلقوا الرصاص على الملك » . وبعد ثوان مورت كقرن استطردت تقول ما كان يجب أن تبدأ به : لانجزعي فكل شيء على مايرام » ومن شدة الصدمة والذهول أكملت آليا زبنتي وأنا أتمتم « حمداً لله - حمداً لله » فقد اعتاد ابني الذي كان يبلغ الرابعة والنصف من عمره مصاحبة والده . ولكن في هذا اليوم اصططحته المربية مباشرة إلى دار حضانة لاستقبال وافد جديد - ولا أدري ما كان يمكن أن يحدث لو أنه ذهب مع أبيه في ذلك اليوم . وأخيراً رأيت الملك واضطرت للتظاهر بالقوة والصلابة لأنه كان هادئاً رابطط الجأش . وأقبل الأقارب . والأصحاب مهرولين يستفسرون عما جرى

فهدأت من روعهم وضمانهم . وكتمت انفعالي وضغظت على أعصابي كمحاولة لاحتواء الصدمة . ولكنني لم أستطع . فبعد عدة أيام من التماسك المصطنع ظهرت آثارها على فانهت تماماً .

وقد أسفرت التحقيقات عن خفايا الحادث المفاجئ واتضح أن الخارس المسكين أجريت له عملية غسيل مخ . وتم القبض على الأيدي التي كانت وراء الحادث وذات ليلة بعد مضي عدة أيام أمر الملك بإحضار أحد المتآمرين إلى القصر . وفي أثناء خروجي مصادفة من غرفتي في الواحدة صباحاً رأيته من فوق السام : شاب صغير موثق اليدين ووجهه للحائط . أحرزني منظره فبكيت من شدة التأثير وأشفقته عليه . فلم يكن هذا خطأه وإنما خطأ كل النظم السياسية والجماعات الخرية التي تتحدع الشباب وتعرضهم حتى تصل بهم إلى حد ارتكاب الجرائم . وقتلت لنفسى : لاشك أنه إيراني . وربما في مناخ مختلف كان من الممكن أن يكون شيئاً ذا قيمة . ولكن القدر ساقه إلى هذا المصير المؤلم . وظل الملك يتحدث معه حوالى الساعة . وهو حازم عندما يصل الأمر إلى حد الإضرار بمصالح وأمن الدولة . أما إذا كان الأمر يتعلق بحياته فهو يعفو . وقد عفا الملك عن الرجل وشركائه وأحدهم يشغل اليوم منصباً هاماً في التلفزيون الإيراني . إن الملك يعد اليوم العائق الوحيد أمام كل من يزرعون الفوضى أو يحاولون تعويق خطوات الإصلاح في إيران . وقد بما لم يفصح مخططو الإرهاب الدولي عن هذا . ولكنهم اليوم يقولون بصوت مسموع : «إننا نريد قتل الشاه لأنه الوحيد الذى يمنعنا من زرع الفوضى . وقد أصبحت اليوم أقتبل هذا الموقف دون أن أطيل التفكير فيه . حتى أصبح يشكل جزءاً من حياتي : لأن زوجي يؤمن بالقدر وبإرادة الله إيماناً راسخاً . وهو دائماً يردد : سأعيش طالما أرادنى الله أن أبقى في هذا البلد .

لهذا اعتلى العرش سنة ١٩٤١ بدون ضجيج لأنه كان دائماً يقول : إنه لا يريد أن يكون ملكاً لشعب بائس . وشيئاً فشيئاً شرع في تنفيذ الإصلاحات التي غيرت وجه إيران : فبثاق الثورة أرسى قواعد العدالة والمساواة ، وبعد أن ضمن استمرار النظام الملكي بمولد ابننا وجد أن الوقت قد حان لإقامة حفلات التتويج وحدد لذلك يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٦٧ الذي يوافق يوم ميلاده : وجاء اليوم التاريخي بعد أكثر من ربع قرن خاض فيها أقسى التجارب وبذل فيها أخلص الجهود من أجل تقدم إيران ..

وبدأنا الإعداد لواحد من أهم أحداث إيران المعاصرة . ولم نجد في البروتوكولات القديمة التسلسل الدقيق لإجراءات التتويج ، فبحثنا في الوثائق القديمة لعلنا نهتدي لما يناسب الظروف الحاضرة والتاريخ الحديث وخاصة أنها المرة الأولى التي تتوج فيها إمبراطورة لإيران منذ قرون عديدة . مما يستدعي مزيداً من التفكير والدقة : فإذا سأرتدي ؟ وأى تاج أضع على رأسي ؟

وأخيراً قررت أن يشبه تاجي تيجان آل بهلوي وخاصة الذي كان يرتديه رضا شاه . واستدعينا أمهر الصائغين وأشهرهم وعرضوا على رسومًا عديدة اخترت منها أجمل تصميم . وكان من تصميم أربس وفان كليف . وقد استطاع أربل بعد قدومه إلى طهران أن يجد في خزائن بنك ميلي الأحجار الكريمة التي يحتاج إليها وهي الزمرد واللازلي والماس .

وانتقبت ثوباً أبيض بسيطاً فيه الروح الإيرانية وصممه على الورق الفنان مارك بوهان من بيت أزياء ديور وقامت بخياكته وشغله حائكات إيرانيات . ونظراً لطول الذيل الكبير اضطرت الحائكات للعمل في نادي الضباط حيث توجد المناصد الضخمة التي نرى بالغرض . ووفقاً للتقاليد الإيرانية اخترت معطفاً طويلاً من القטיפه الخضراء وهو اللون المفضل لخلفاء الرسول ﷺ ولم يهتم

زوجي كثيراً بهذه التفاصيل فقد انصب اهتمامه الأول على ولي العهد الذي قررنا أن يرتدى بذلة رسمية ويحمل سيفاً صغيراً كان هو يحمله في السن نفسها عند تنويع رضا شاه .

وأخيراً جاء دور التنسيق للتفاصيل الدقيقة الخاصة بالحفل مثل ترتيب الدخول ومن يعطى الملك التاج ومن يعطيه الخزام ومن يعطيه الصولجان . وأعددتنا كل شيء بحيث ينتهى خطاب الملك وقت الظهيرة حين ينادى المؤذن للصلاة ، وقتنا بتجربة واحدة للحفل جعلته كاملاً إلا من بعض العيوب الصغيرة التي لم يلاحظها أحد : فحين حان وقت ارتداء الملك للخزام الإمبراطورى خلع حزامه الرسمى ولم يكن أحد موجوداً لتلقبه فسقط على الأرض ، كذلك تاجي لم يكن موضوعاً كما يجب وبرز جزء من شعرى جعل مصفف الشعر يستشيط غضباً .

وكان مفروضاً أن يعد قصر جولستان احتفالاً بالمناسبة الجليلة . وقد أنقذته المناسبة فعلاً لأننا اكتشفنا أنه كان آيلاً للسقوط : فالأساسات مسوسة ، والأرضية متعقنة ، والجدران متصدعة ، وخلف صورة رضا شاه شق كبير ، ولولا الإصلاحات الجديدة لسقط السقف فوق رؤوس المدعوين الأجانب . ونصبنا المنصات في الحدائق وظللنا أياماً نصلى حتى لا تخطر السماء .. وحمداً لله فيومها كانت السماء صافية وكان الجو بديعاً .

ودخل ولي العهد أولاً إلى البهو يحيط به الحرس الحرنى والمدنى ويتبعه رجال القصر . ثم جاء دورى فأقبلت تتعنى سيدات الشرف بملابسهن البيضاء الجميلة . وبعد أن اتخذ كل فرد موقعه ظهر الملك وسط عاصفة مدوية من التصفيق والهتافات . وخيم النصب والحشوع حين بدأ الإمام بتلو الآيات القرآنية . وبعدها ارتدى الملك شعار الإمبراطورية الخزام والسيف النذهبي

المنظم بالأحجار الكريمة والمعظم الكشمير المطعم بالآلئى . وبمنتهى الرزانة والاعتداد حط التاج الأورجوانى فوق رأسه مثلما توج والده نفسه من قبل . ثم ناولوه صولجان الملك فى يده ، وجاء دورى فدنرت منه واخفيت ليتوجنى ، ثم جلس على العرش الطاووسى الشكل . وبعد إلقاء خطبته وخطبة رئيس الوزراء ورئيس الغرف أقبل إخوته لتقديم فروض الطاعة والولاء والتهنئة .

بكيت يومها من شدة الفرح كما بكيت أخوات الملك والأميرة شهناز . فبعد كل هذه الأعوام رأينا الملك متوجاً فى احتفال تاريخى مهيب بعد يوماً مشهوداً فى تاريخ إيران ليس بالنسبة لزوجى فقط ، ولكن بالنسبة لابنى أيضاً الذى كان آية فى التعقل والرزانة بالرغم من أنه كان مريضاً قبلها بأيام لإصابته بنزلة برد - حتى إن الصحافة الغربية وصفته قائلة : إنه كان نجم العرض .

وارتفع صوت المؤذن فى سماء طهران وركبت العربية الملكية مع الملك فى المقعد الأمامى وركب ولى العهد وحده فى المقعد الخلفى . وحينما انطلقت الجياد أوشك التاج أن يقع منى ولحسن الحظ لم يلاحظ المصورون هذا وإلا كانوا نشروها فى الصفحات الأولى .

كانت الأرضفة تموج بالإيرانيين الذين قدموا لتحييتنا وصاحوا وهتفوا وغنوا فرحاً طوال الطرق التى اجتازناها . وحين لمحت يدي لأرد على تحييتهم الحارة سرحت بعيداً أفكر إنى أى درجة هذا الرجل جدير بالتاج .. بعد كل التجارب المريرة التى اجتازها وبعد كل ما أعطاه من نفسه لشعبه ووطنه ؟

لم يكن لى الحق فى امتنانهن ، ولكننى شعرت أنه من خلال تكريمى وضع الملك يده تاجاً على رأس كل إيرانية وأعضائها المكانة التى تستحقها فى مجتمعنا وبالنسبة لى شخصياً أحسست بالفخر الكبير ، فقد أصبحت منذ ذلك التاريخ أول إمبراطورة إيرانية متوجة منذ قرون طويلة .